ذِكر وجوه من الحِكَم
في كتابة الملَكَين
أعمال بني آدم عليه السلام

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(حول تفسير سورة ق)
من الصفحة ٥٧ حتى الصفحة ٦٣

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناء على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيِّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم مؤلفات الإمام
- المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

قوله تعالى: ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾.

والمعنى: واذكر لهم يا محمد يا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ يتلقى الملكان المحيطان بأحدهم عن اليمين وعن الشمال، يكتبان أعمالهم وأقوالهم، وأعمال قلوبهم - وجيء بهذه الجملة من باب التقرير والتأكيد، لإحاطة علمه سبحانه بعباده، فإنّه العليم الخبير الذي يُطلع ملائكته الحفظة على أعمال العباد، وأقوالهم وعزائم قلوبهم، ونياتهم الخفية.

فالملائكة الحفظة هم على علم بذلك، فالله تعالى الذي

أطلعهم هو أعلم بذلك من باب أولى وأقوى، وإنّ علمه سبحانه بشؤون عباده هو علم ذاتي قديم، وأمّا علم الملائكة فهو حادث، وهو بإطلاع الله تعالى لهم على ذلك لا من ذاتهم.

قال تعالى: ﴿**أَمْ يحسبون أنّا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون**﴾.

﴿**إذ يتلقى المتلقيان**﴾.

وهم الملكان الموكلان بكل إنسان، يكتبان عليه أقواله وأعماله الحسية والقلبية.

والتلقي هو التلقن بالحفظ والكتابة، وقد أخبر سبحانه عباده بذلك ليكونوا على حذر مما يعملون ويقولون، وليعلموا أنّ الملائكة الكتبة تتلقى عنهم، وتكتب عليهم، وسوف يُعرض الكتاب يوم الحساب. ﴿**إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾.

فهناك ملكان قعيد عن اليمين، وقعيد عن شمال الإنسان، متوجهان للإنسان ببصرهما، ومصغيان إليه، بحيث ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب، مترقب له ماذا يقول، عتيد حاضر العدة، فهو مستعدٌّ ومتهيِّءٌ كل التهيؤ لتلقي ما يلفظه الإنسان ليسجله عليه، ويسطره بأمانة لا زيادة ولا نقصان، وهذا كما قال تعالى: ﴿**كَلّاً بل تكذبون بالدين وإنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون**﴾.

فهناك الملائكة الحفظة وهم كما بَيَّنْت في كتاب: (الإيمان بالملائكة) على صنفين:

الصنف الأول: الذين يحفظون الإنسان من المكاره والشدائد، وموكلون بتسيير مداركه وجسمه ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿**له مُعقِّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾ الآية.

فهم يحفظون، مِنْ أجل أنّ الله تعالى أمرهم بذلك، وإذا لم يأمرهم تخلّوا عنه فهلك، ومن هذا قوله تعالى: ﴿**وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون**﴾.

والصنف الثاني: الملائكة الذين يحفظون على الإنسان أقواله وأعماله وأحواله، ويكتبونها، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿**وإنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون**﴾.

وفي هذه الكتابة وجوه من الحِكَم:

أولاً: أنْ يعلم العباد أنّ عليهم رقباء يرقبونهم في جميع تقلباتهم، ويسجلون عليهم كافة أفعالهم وأقوالهم، قال تعالى: ﴿**ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد**﴾، وذلك مما يكف الإنسان عن فعل المخالفات، وارتكاب المنكرات، ويحمله على منهج الاستقامة والكرامة.

فإنَّ الإنسان حين يعلم أنَّ عليه رقيباً يرقبه من جانب من يلي عليه، تراه يلتزم حدَّه ويقف عنده، لعلمه بمراقب يرقبه، مع أنّ هذا الرقيب هو إنسان مثله، قد يغفل ويسهو، وينسى ويلهو، فما ظنك برقابة رقباء يلازمون رَقَبة ابن آدم، لا يتركونه في الليل ولا في النهار، ولا يسهون ولا يغفلون، بل هم كما وصفهم سبحانه: ﴿**يعلمون ما تفعلون**﴾؟!

ولذا قال تعالى منبهاً ومتوعداً للطغاة: ﴿**أم يحسبون أنّا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون**﴾.

كما بين سبحانه أنَّ مكر الماكرين في آياته هو مسجَّل عليهم.

قال تعالى: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا. قل الله أسرع مكراً إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾.

وهذا شأن المنكرين الجاحدين، أنَّهم إذا أذاقهم الله رحمة، رخاء وسعة ونعمة ـ بعد ضراء ـ أي: شدة وضيق وبلاء ـ إذا هم في تكذيب واستهزاء بآيات الله تعالى، وطعن فيها، وعدم اعتراف بنعم الله عليهم.

ثانياً: إنَّ هذا الكتاب الذي يُسطِّرِ على بني آدم أعماله وأقواله، سوف يكون يوم القيامة حجةً عليه إذا هو خالف أوامر الله تعالى، أو ارتكب ما حرم الله تعالى، ولا يستطيع حينئذ أَنْ يُنكر شيئاً مما سَطَّره عليه الكتاب من صغيرة أو كبيرة.

قال تعالى: ﴿وكلُّ شيء فعلوه في الزُّبُر. وكلُّ صغير وكبير مستَطَر﴾ ـ أي: مسطر عليهم في صحائفهم التي كَتبها الكرام الكاتبون.

وفي (المسند) وغيره عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقول: «يا عائشة إياكِ ومحقَّرات الذنوب، فإنّ لها من الله طالباً».

فالصغيرات والمحقَّرات من الذنوب في نظر فاعلها لها طالب، وعليها حاسب.

ثالثاً: أَنْ يعلم العبد أَنّ أعماله تُكتب عليه، وتحفظ في كتابه، حتى إذا جاء يوم القيامة عُرضت على رؤوس الأشهاد، فإن كانت أعمالاً صالحة وأقوالاً طيبة فرح بذلك، وسُرَّ سروراً عظيماً، ويُعطى كتابه بيمينه، وهنا يقول معلناً سروره وغبطته: ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾.

قال الله تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم[1] اقرؤوا كتابيهْ. إني ظننت أنّي ملاقٍ حسابِيَهْ. فهو في عيشةٍ راضيةٍ﴾ الآيات.

وقال تعالى: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم[2] فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم﴾ - أي: فرحين مستبشرين، ومعلنين ذلك على مرأى الأشهاد ﴿ولا يظلمون فتيلاً﴾.

وإنْ كانت أعمالاً سيئة، سيء وجهه وكرب لذلك، وأخذ يتلوّم ويتحسَّر، قال الله تعالى: ﴿وأما مَنْ أُوْتي كتابه بشماله فيقول: يا ليتني لم أُوتَ كتابيهْ. ولم أدرِ ما حسابيهْ. يا ليتها كانت القاضية. ما أغنىٰ عني ماليهْ. هلك عني سلطانيهْ﴾.

رابعاً: أنْ توضع كتب الفجار وما اشتملت عليه من قبائح وفضائح، وسيئات وهنات، في ديوان سجّين أسفل سافلين، وتتوارد عليهم الويلات واللعنات.

وتُرفع كتب الأبرار وما احتوت عليه من أعمال الطاعات والحسنات والخيرات إلى ديوان عليين، ليشهدها المقرَّبون من الملائكة، والأرواح العالية، ومقرّبو كل سماء، وهناك يُثنىٰ على أصحابها، وينشر فضلهم، ويعلو ذكرهم وتُشهد كرامتهم، ويُذكر فعلهم.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إنَّ كتاب الفجار لفي سجّين. وما

---

(١) أي: خذوا اقرؤوا كتابي، وانظروا ما فيه من الحسنات والخيرات.

(٢) أي: برسولهم، أو دينهم، أو كتابهم الذي جاء به نبيهم، فيقال: يا أتباع النبي فلان، ويا أهل دين كذا، ويا أهل كتاب كذا.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنَّ المراد بالإمام هنا متبوعهم في الدنيا، الذي اتبعوه في الخير أو في الشر، في الهدى أو في الضلال.

أدراك ما سجين كتاب مرقوم. ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَلَّا إن كتاب الأبرار لفي عليّين. وما أدراك ما عليّون كتاب مرقوم. يشهده المقرّبون﴾.

خامساً: أَنْ يوضع الكتاب يوم القيامة للحساب.

قال تعالى: ﴿ووُضِع الكتاب، فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون: يا ويلتنا مالِ هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾.

وقال تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾.

والمعنى: أَنّ أرض الموقف أشرقت بنور ربها لما تجلى سبحانه لفصل القضاء بين الخلائق، وهناك حقّت الحقائق، وبرزت الدقائق، وبُليت السرائر، وظهرت الضمائر، فعلمت كل نفس ما أحضرت.

وقوله تعالى: ﴿ووضع الكتاب﴾ قال كثير من المفسرين: المراد بهذا الكتاب كُتب أعمال العباد، و﴿أل﴾ فيه للاستغراق، والمراد بوضعه جعل كل كتاب في يد صاحبه: اليمين أو الشمال، أو جعل كل كتاب في ميزان صاحبه.

وذهب بعض المحققين إلى أنّ المراد بهذا الكتاب هنا: كتاب واحد جامع لجميع أعمال العباد يوضع للحساب.

قال العلامة اللقاني في بعض شروحه على الجوهرة: جزم الغزالي رضي الله عنه بما قيل إنّ صحف العباد يُنسخ ـ أي: يكتب ـ ما في جميعها في صحيفة واحدة اهـ.

قال في (روح المعاني): والظاهر أنّ جزم الغزالي وأضرابه

لا يكـون إلا عن أثر، لأنّ مثله لا يُقـال من قِبـل الـرأي كمـا هـو الظاهر. اهـ.

أقول: قد بيَّن ذلـك بعض المحققين من العلماء العـارفين، فذكر أنَّ هناك كتابين عظيمين جامعين:

أحـدهمـا: يسمى: **(أُمّـاً)** كتب فيـه مـاهـو كـائن إلى يـوم القيامة، فهو كتاب ذو قَدر معلوم، فيه بعض أعيان الممكنات، وما يتكوَّن عنها ويسمى: (كتاب القضاء) وهـو ـ أي: القضاء ـ الحكم الإلٰهيّ على الأشياء الممكنة بكذا وكذا.

وثانيهما: يسمى: (كتـاب الإحصاء) قـال تعالى: **﴿وكـلَّ شيءٍ أحصيناه كتاباً﴾**، وقد كتب فيه ما يتكوَّن عن المكلفين خاصة، فلا تزال الكتابة فيه مستمرةً ما دام التكليف باقياً، وبه تقوم الحجـة لله تعالى على عباده المكلفين، وبه يُطالبهم ويحـاكمهم يوم القيـامة، لا بالكتاب الأول، وهذا هو المراد بقوله تعالى: **﴿ووضـع الكتاب فتـرى المجرمين مشفقين ممـا فيه ويقـولـون يـاويلتنـا مـالِ هـذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾** الآية.

وكلا الكتابين محصور، لأنه موجود بإيجاده تعالى، وأما علم الله تعـالى في الأشياء فـلا يحصره كتـاب مـرقـوم، ولا يسعـه رَقّ منشور، ولا لوح محفوظ، ولا يسطره قَلم أعلى. اهـ.

ومن جملة الشهداء الذين يشهدون يوم القيامة على العبـاد: الكرام الكاتبون، يشهدون على النفس الموكلين عليها.